رأي الأصدقاء

يزوره الأصدقاء، يتحدثون عن الوحدة وأسباب انفصامها.. يقول أحدهم:

- حكام العرب خونة، أعداء شعوبهم، الحاكم إما أن يحضنه الـشعب أو يحضنه الأجنبي.. وكل الحكومات الفوقية عميلة..

- لا يجب تبسيط الأمور هكذا - يصحح له قوله - هذا هو بالذات خطـأ الشيوعيين.. الحاكم يمثل تيارا له مصلحة كبيرة في بقائه في الحكم، وهذا سر استمراره، وحتى لو زال الحاكم لوجد هذا التيار من يحل مكانه ولـه جميـع صفاته.. عندما قلت في كتابي أن الناصرية هي في جملة الاستعمار الحديث، لم أقل أن عبد الناصر خائن، إن عبد الناصر حارب الاستعمار القديم وحرر منه بلاده، قام بعمل مجيد، والجماهير التي رافقت الوحدة كانت تعبر عن فرحهـا العميق بالرجل الذي استلم مقاديرها وحقق أحلامها، ولكن للأسف لم يستطع أن يرى الاستعمار الحديث الممثل في أميركا وعسكريتها وجهاز مخابراتها.. خـدم أميركا نعم، وتياره هو الذي أوصل مصر إلى الهزائم وإلى استسلام السادات، وبالتالي أوصل الوطن العربي إلى ما هو فيه من ارتباطات وديون وعجز.

- هذه هي الخيانة!

أخذ الرجل يحتج.

- يا أبو جهاد، علينا أن نفهم الأمور على حقيقتها، صـحيح أنـه خـدم الاستعمار الحديث، وأميركا لو أنصفته لما قام به من خدمات لتركيزهـا فـي المنطقة لأقامت له تمثالا إلى جانب تمثال الحرية في بلادها، ومع ذلك أقول لك أن عبد الناصر لا يشبه نوري السعيد مثلا الذي كان يتلقى الأوامر من الإنجليز وينفذها.. العميل في الاستعمار الحديث لا يشبه العميل في الاستعمار القديم، إن أميركا لا تجرؤ أن تصدر الأوامر لأي حاكم عربي كأن تقول له افعل كذا ولا تفعل كذا، بل تربط مصالحها بمصالحه، وتجره إلى مواقعها.

- أنت بهذا التحليل تخفف من الدور الخياني الذي يقوم به أمثال هؤلاء الناس تجاه أمتهم.

- لا بل أريد أن أقول أن هناك تيارا واسعا مرتبطا بمصالحه يشارك الحاكم في انحرافاته، وكل فرد فيه مسؤول عن انحرافات الحاكم.. القضية ليست فردية، إنها ليست أخلاقية فرد بل أخلاقية نظام.. خذهم فردا فردا فلـن تجـد أحدهم مسؤولا عما يجري ولكنهم بمجموعهم يشكلون كتلة خطرة.

- ما الذي يجبر الناس على التصفيق لحاكم تعرف أنه يخون مصالحها؟ يقول صديق آخر.

- إنه الخوف سيدي، أو الإبقاء على المنافع، أو ربما لأن أمثال هـؤلاء الناس لهم "كاريزما" وقدرة كبيرة على خداع الناس. يجيبه عفيف:

- بل لأن في أعماق كل من يتوحد حول طاغية رغبة في أن يمارس هو نفسه بعض هذا الطغيان لحسابه الخاص!.. إن شهواتنا هي التـي تعمينـا وتقودنا..

- كلامك صحيح سيدي.. القصة، قصة تخلف حضاري عندنا.. في أوروبا لو أن رجلا فكر في انقلاب عسكري يصبح بعدها زعيما لأمة، لجره الناس إلى مستشفى المجاذيب، أما عندنا فإن الرجل إذا أصبح رقيبا في الجيش ولم يفكر أن يقوم ذات يوم بانقلاب عسكري ويستلم القيادة ويغوص في النعيم، يكون قليل الطموح أو حتى متخلفا في عقليته!.

* * *

صلاح الطرزي

في نزهتنا الصباحية كثيرا ما كنا نلتقي بأصدقاء لعفيف، ويجـري بينـه وبينهم حديث مقتضب أو طويل عن الأحداث التاريخية التي شاركوا فيها، ويوما التقينا بصلاح الطرزي الذي كان سفيرنا في الولايات المتحـدة وفـي الاتحـاد السوفياتي.. وكان من أصدقاء عفيف القدامى الذين عرفتهم منذ زواجي، قال له:

- يا عفيف، لو لم تصنع الوحدة مع عبد الناصر لكنت اليوم زعيم الأمـة العربية دون منازع!..

فأجابه عفيف: لو عاد الزمن مائة مرة إلى الوراء ما كنت لأفعل إلا ما فعلت، ولما تصرفت إلا كما تصرفت.. أنا لست نادما على شيء، لأن الوحـدة هي قدر هذه الأمة، وستتحقق كما كنت أرجوه لها طال الزمن أم قـصر. لا يستطيع الدجالون ولا المستعمرون أن يجهضوها، إلا أنهـا تتحقـق عبـر آلام مخاض طويلة بسببهم..

* * *